وقال الخامس: رب حريصٍ على سكوتك [إذ لا تسكت]، وهو اليوم حريصٌ على كلامك [إذ لا تتكلم].

وقال السادس: يا عظيم الشأن، اضمحلَّ سلطانُك كما اضمحل ظلُّ السحاب، وعَفَت آثارُك كما عفت آثار السَّراب[١].

وقال السابع: يا مَن ضاقت عليه الأرضُ، ليت شعري كيف حالُك فيما احتوى عليك منها.

وقال الثامن: هذا الذي كانت الآذانُ تنصت لكلامه، قد سكت فلْيتكلَّم الآن كلُّ ساكتٍ.

وقال التاسع: سيلحق بك مَن سرَّه موتُك، كما لحِقْتَ بمن سرَّك موتُه.

وقال العاشر: كنتَ تأمرنا بالحركة، فما بالك ساكناً.

ولما مات الإسكندر عرضوا على ولده إسكندروس المُلك فامتنع، واختار النُّسُك والتعبُّد، فملَّكت اليونان عليها بطليموس.

فصل في ذكر أرسطاطاليس

اعلم أن أرسطاطاليس حكيمُ اليونان، ورئيسهم المطلق، وصاحب المنطِق، وكان يُؤدِّب الإسكندر في صغره، وكان الإسكندر يُعظِّمُه ويكاتبه ويشاوره، فكان بمنزلة الوزير عنده.

وقيل للإسكندر: إنك تُعظِّم مؤدِّبَك أكثرَ من تعظيم والدك؟ فقال: لأن أبي كان سبباً لحياتي الفانية، ومؤدبي سبباً لحياتي الباقية. وقال مرة أخرى: أبي كان سبباً في رِقِّي، ومؤدبي سبباً في نُطقي[٢].

وجلس يوماً كاملاً لم يسأَلْه أحد حاجةً، فقال لجلسائه: ما أعد هذا اليومَ من عمري. قيل: ولم؟ قال: لأن الملك لا يَلتذُّ إلا بالجود على السائل وإغاثة الملهوف،

(١) في مروج الذهب ٢/ ٢٥٤ وما بين معكوفين منه: وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب.
(٢) الملل والنحل ٢/ ١٣٧.

ومكافأةِ المُحسِن، وإنالةِ الراغب، وإسعافِ الطالب.

وشاوره أصحابُه في السجود له، فقال: لا يستحق ذلك إلا البارئُ تعالى، لأنه كسانا بهجة الفضائل.

وأغلظ له رجل، فقام بعضُ أصحابه إليه ليقتله، فقال له الإسكندر: لا تنحطَّ إلى دناءته، وارفعه إلى شرفك.

وقال: من انتجعك فقد أسلَفَك حُسنَ الظنِّ بك[١].

وكتب إلى أرسطاطاليس: بم تأمرني؟ فكتب إليه: اجمع في سياستك بين بِدارٍ لا حِدَّة فيه، ورَيْثٍ لا غفلة[٢] معه، وامزج كل شيء بشكله، وصُنْ وعدك عن الخلف فإنه شَيْن، وشِبْ وعيدك[٣] بتأخير العقوبة فإنه زَيْن، وكن عبد الحق فإن عبد الحق حرٌّ، وليكن خُلقك الإحسانَ إلى جميع الخلق، وأَظْهر لأهلك أنك منهم، ولأصحابك أنك بهم، ولرعيتك أنك لهم.

وكتب الإسكندر إليه يخبره أن في عسكره جماعةً لا يأمنهم على نفسه، لبُعْد هممهم وشجاعتهم وقلَّة عقولهم، ويكره أن يُقدم عليهم بالقتل على وجه الظِّنَّة، مع وجوب الحُرمة وسابق الخدمة، فكتب إليه أرسطاطاليس: أما ما ذكرتَ من بُعد هممهم، فإن الوفاءَ من بُعد الهمة. وأما ما ذكرتَ من شجاعتهم وقلة عقولهم، فإن كانت هذه الحالة فرفِّهْهُم في معيشتهم، وخُصَّهم بحسان النساء، فإن رفاهية العيش تُوهي العزم، وتُحبِّب السلامة، وتُباعد من ركوب الغرور، وأحسن خُلُقك تَخلُص لك النيّات، ولا تتناول من لذيذ العيش ما لا يمكن أوساط رعيتك مثله، فليس مع الاستئثار محبة[٤]، ولا مع المساواة بِغْضة. واعلم أن المملوك إذا اشتُرِي لا يَسأل عن مال من اشتراه، وإنما يَسأل عن خُلُق مولاه.

وكتب إليه الإسكندر: إني أرى رجالاً ذوي أصالة في الرأي، وحُسنِ التَّدبير،

(١) العقد الفريد ١/ ٢٣١. وانتجع فلاناً: أتاه يطلب معروفه.

(٢) في النسخ: عجلة، والمثبت من الملل والنحل ٢/ ١٣٨.

(٣) في النسخ: وعدك، والمثبت من الملل والنحل ٢/ ١٣٨ وما سبق من أخبار فيه.

(٤) في النسخ: صحبة، والمثبت من تجارب الأمم ١/ ٣٨، والمنتظم ١/ ٤٢٧.

واعتدال الخلق، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة، ولا آمنهم أن يَثِبوا عليَّ، ولا تستقيم الأمور إلا ببوارهم. فكتب إليه: أما بعد: فإنك إذا قتلتهم؛ أَنْبت إقليم بابل أمثالَهم، لأنه إنما يُنبت الرجالَ العقلاء، أهل الرأي والسداد، والاعتدال في التركيب، فصاروا أعداءً لك، وإخراجُهم من عسكرك مخاطرةٌ بنفسك وأصحابك، فافعل ما هو أنفع لك من قتلهم، استدع أولاد الملوك منهم؛ فقلِّدهم البلدان، وولِّهم الولايات، ليصيرَ كلُّ واحد منهم ملكاً برأسه، فتتفرَّق أجسامهم، وتجتمع كلمتُهم على الطاعة. ففَعَل الإسكندرُ ذلك، فصَلَحت الأحوالُ[1].

وكتب إليه: إنما تُملَك الرعايا بالإحسان إليها، فأحسن تظفرْ بالمحبة منها، واعلم أنك إنما تملك الأبدان، فاجمع إليها القلوب.

وقال الجاحظ: أرسطاطاليس تلميذ أفلاطن، وأفلاطن تلميذ سُقراط[2].

وقال الهيثم: رؤساء الفلاسفة ستة: سُقراط، وبُقراط، وأفلاطن، وفيثاغورس، وثالس، وأرسطاطاليس، وهو الفيلسوفُ الأعظم عندهم، وهو الذي رتَّب علومهم وهذَّبها وحذف الحشو منها، وانتخب الأقرب إلى الصواب، وزاد على مَن تقدَّمَه حتى على أستاذه أفلاطن الألمعي. وقد اعتذر عن ذلك فقال: أفلاطن أستاذ وصديق، والحق صديق، وهو أصدقُ منه.

وقال: لكلِّ شيءٍ صناعة، وصناعة العقل حُسنُ الاختيار.

وقال: اعصِ الهوى، وأَطِعْ من شئت.

وقال: الأديانُ أوطان.

وقال: إذا خان السفيرُ بطَلَ التدبير، وإذا كان الجاهلُ عدوّاً لنفسه، فكيف يكونُ صديقاً لغيره؟!

وقال للإسكندر: إن الناس إذا قدروا أن يقولوا، قدروا أن يفعلوا، فاحترز من أن يقولوا، تسلم من أن يفعلوا. فقال له: صدقت أيها الحكيم[3].

---

(١) تجارب الأمم ١/ ٣٩.

(٢) ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف ص١٢٠، ومروج الذهب ٢/ ٢٥٠ دون عزو إلى الجاحظ.

(٣) في هامش (ك): ليس هذا من كلام أرسطو.

وقيل له: ما البلاغة؟ فقال: حسنُ الاستعارة، وقيل: الاستدلالُ بالقليل على الكثير، وقيل: فتق المشكل، وإيضاح المعضل.

وكتب إلى بعض الملوك وكان قد اشتغل باللهو عن النظر في أمور الرعية: أما بعد، فإن الرعية إذا علمت تسلُّط الهوى على المَلك تسلَّطت عليه، فاقهر هواك بفضل يقظتك. فكتب إليه الملك: إذا كانت بلادنا عامرة، وعُمَّالنا عادلة، وسُبُلُنا آمنةً، فلِمَ نمتنعُ من لذةٍ عاجلةٍ؟ فكتب إليه: إنما تمهدت الأمور على ما ذكرت باليقظة دون الغفلة، فما أخوفني أن تهدم ما بنته اليقظة بما جنته الغفلة. فانتبه الملك وكتب إليه: صدقتَ أيها الرشيد[١].

وكانت وفاةُ أرسطاطاليس بعد وفاة الإسكندر بيسيرٍ، وعاش ستين سنة، وقال ابنُ حَوقل: إنه مُعلَّق في خشبة بجزيرة صِقِلِّية بالكنيسة، وكانت النصارى تستقي به[٢]، وعاش أفلاطن أيضاً ستين سنة.

قال المصنف رحمه الله: وقد وازن أبو علي بن حسن الحاتمي بين أرسطاطاليس والمتنبي[٣]، فقال:

قال أرسطاطاليس: مَن علم أن الكون والفسادَ يتعاقبان الأشياء، لم يحزن لورود الفجائع. قال المتنبي: [من الطويل]

إذا استقبلَتْ نفسُ الكريم مُصابَها بخُبْثٍ ثَنَتْ فاستدبرته[٤] بطيبِ

وقال: النفس المتجوهرة تأبى مقارنة الذّل [جداً، وترى فناءها في ذلك بقاءها]، والنفس الدنية بضد ذلك.

قال المتنبي: [من الطويل]

---

(١) انظر عيون الأخبار ١/ ٨، والعقد الفريد ١/ ٢٤ـ٢٥ و٤/ ١٩٠، والمنتظم ١/ ٤٢٧.

(٢) صورة الأرض ص١١٣.

(٣) في هامش (ك) حاشية: هذا لا يطلق عليه موازنة ولا وقع الحافر، وإنما المتنبي كان كثير المطالعة لكتب الفلاسفة، فأخذ هذه الكلمات الحكمية فسبكها شعراً، والله أعلم.

(٤) في النسخ: فاستقبلته، والمثبت من الرسالة الحاتمية ص١٤٦ (ضمن كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية)، وديوانه ٢/ ٢٠٤ بشرح ابن جني.

فحُبُّ الجبانِ النَّفسَ أَورده التُّقى وحبُّ الشجاعِ النَّفسَ أَورده الحَرْبا[١]

وقال: أَقبحُ الظلم حسدُك لعبدك الذي تُنعم عليه.

قال المتنبي: [من الطويل]

وأظلمُ أهلِ الأرض مَن بات حاسِداً لمَن بات في نعمائه يتقلَّبُ[٢]

وقال: موتُ النفس حياتُها، وعُدْمُها وجودُها، لأنها تلحقُ بعالَمها.

قال المتنبي: [من المتقارب]

كأنك بالفقر تَبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخُلودا[٣]

وقال: أقربُ القُربِ مَودَّات القلوب وإن تباعدت الأجسام، ، وأبعدُ البُعد تنافر التداني. قال المتنبي: [من الوافر]

وأبْعدَ بُعدَنا بُعدَ التداني وأقربَ قُربَنا قُربَ البعادِ[٤]

وقال: إذا كان البناءُ على غير قاعدةٍ، كان الفساد أقربَ إليه من الصلاح.

قال المتنبي: [من الوافر]

وإن الجُرحَ يَنفِرُ بعد حين إذا كان البناءُ على فسادِ[٥]

وقال: تعاقُبُ أيام الزمان مفسدةٌ لأحوال الحيوان. قال المتنبي: [من المنسرح]

فما تُرجِّي النفوسُ من زمنٍ أَحْمدُ حالَيه غيرُ محمودِ[٦]

وقال: أَتعَبُ الناس من اتَّسعت مروءَتُه، وقصرت مقدرتُه.

قال المتنبي: [من الطويل]

وأتعبُ خلقِ الله مَن زاد همُّه وقصَّر عما تشتهي النفسُ وُجْدُه[٧]

---

(١) الرسالة ص١٤٦، وديوانه ٢/ ٢٣٢.

(٢) الرسالة ص١٥٢، وديوانه ٢/ ٥٧٦.

(٣) الرسالة ص١٥٦، وديوانه ٢/ ٩٧٣.

(٤) الرسالة ص١٥٦، وديوانه ٢/ ٩٤٦.

(٥) الرسالة ص١٥٦، وديوانه ٢/ ٩٥٦.

(٦) الرسالة ص١٤٥، وديوانه ٢/ ٧٧٠.

(٧) الرسالة ص١٥١، وديوانه ٢/ ١٠٦.

وقال: مَن استعمل الفكر في موضع البديهة فقد أضرَّ بخاطره، وكذا من استعمل البديهة في موضع الفكر. قال المتنبي: [من الطويل]

ووَضْعُ النَّدى في موضعِ السيف بالعُلا مُضِرٌّ كوَضْعِ السَّيفِ في مَوضعِ النَّدى[١]

وقال: مَن لم يَرفع نفسَه عن قَدْر الجاهل، رفع الجاهلُ قَدرَه عليه.

قال المتنبي: [من الطويل]

إذا الفَضْلُ لم يَرفَعْكَ عن شُكر ناقصٍ على نفسِه فالفضلُ فيمن له الشُّكرُ[٢]

وقال: مَن أفنى مُدَّتَه في جمع المال خوفَ العُدْم، فقد أَسلم نفسَه للعدم.

قال المتنبي: [من الطويل]

ومَن يُنفِقُ الساعاتِ في جَمْع ماله مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَل الفقرُ[٣]

وقال: مَن تخلَّى عن الظُّلم بظاهره، وسَكن إليه بحواسِّه، فهو ظالم.

قال المتنبي: [من الطويل]

وإطراقُ طَرْفِ العينِ ليس بنافعٍ إذا كان طَرْفُ القَلب ليس بمُطْرقِ[٤]

وقال: يَقبحُ بذي الجِدَة أن يفارقَه الجُود، لأنهما كشيءٍ واحد يحويهما إنسان.

قال المتنبي: [من الخفيف]

والغنى في يد اللئيم قبيحٌ قَدْرَ قُبْحِ الكريم في الإملاقِ[٥]

وقال: نفوسُ الحيوان أغراضٌ لحوادث الزَّمان. قال المتنبي: [من الكامل]

[والمرءُ من حَدَثِ الزمان كأنه عَوْدٌ تداوَلَه الرُّعاةُ ركوبا

غَرضٌ لكل مَنيَّةٍ يُرمى بها حتى يُصابَ سَوادُه منصوبا

وقال: مَن استمرت عليه الحوادث لم يألَمْ بحلولها. قال المتنبي[٦]]: [من الوافر]

---

(١) الرسالة ص١٤٨ـ١٤٩، وديوانه ٢/ ٨٣٣.

(٢) ديوانه ٣/ ١٥١، وليس في الرسالة الحاتمية.

(٣) الرسالة ص١٥٠، وديوانه ٣/ ١٥١.

(٤) الرسالة ص١٤٨، وديوانه ٤/ ٤٩٣.

(٥) ديوانه ٣/ ٦٠٥، وليس في الرسالة الحاتمية.

(٦) الرسالة الحاتمية ص١٤٥ وما بين معكوفين منها.

إذا اعتاد الفتى خَوْضَ المنايا فأهونُ ما يَمُرُّ بهِ الوُصُولُ[١]

وقال: نَقْلُ الطِّباع من ذوي الأطماع، شديدُ الامتناع. قال المتنبي: [من المتقارب]

يُرادُ من القلب نِسيانُكم وتأبى الطِّباعُ على النَّاقلِ[٢]

وقال: مَن علم أن الفناء مُسْتَولٍ على كونه، هانت عليه المصائب.

قال المتنبي: [من البسيط]

فالهجرُ أَقتلُ لي مما أُحاذِرُه أنا الغريقُ فما خَوفي من البللِ[٣]

وقال: العِيان شاهدٌ لنفسه، والأخبار يتداخلها الزيادة والنقصان، فأَولى ما أخذ الإنسان ما كان دليلاً على نفسه. قال المتنبي: [من البسيط]

خُذْ ما تَراه ودَعْ شيئاً سَمعتَ به في طَلْعة الشمس ما يُغنيكَ عن زُحَلِ[٤]

وقال: قد يفسد العضو الواحد لصلاح أعضاءٍ كثيرة. قال المتنبي: [من البسيط]

لعلَّ عَتْبَك محمودٌ عواقِبُه وربَّما صَحَّت الأجسامُ بالعللِ[٥]

وقال: عِلَلُ الأفهام أشدُّ من عِلَل الأجسام. قال المتنبي: [من الطويل]

يَهونُ علينا أن تُصابَ جُسومُنا وتَسلمَ أعراضٌ لنا وعُقولُ[٦]

وقال: الحكيم تُريه الحكمةُ أن فوق علمه علماً، فهو يتواضع لتلك الزيادة، والجاهل يظنُّ أنه قد تناهى، فيسقط [بجهله، فتَمقُته النفوس].

قال المتنبي: [من الطويل]

وما التِّيهُ طِبِّي فيهمُ غيرَ أنني بَغيضٌ إليَّ الجاهلُ المُتَعاقِلُ[٧]

وقال: كلُّ ما له أول، تدعو الضرورةُ إلى أن يكون له آخِر. قال المتنبي: [من الكامل]

---

(١) الرسالة ص١٤٥، وديوانه ٣/ ٦٦٥.

(٢) الرسالة ص١٤٥، وديوانه ٣/ ٦٩٢.

(٣) الرسالة ص١٤٧، وديوانه ٣/ ٧٧٣ وفيهما: أراقبه، بدل: أحاذره.

(٤) الرسالة ص١٤٧، وديوانه ٣/ ٧٧٧.

(٥) الرسالة ص١٤٧، وديوانه ٣/ ٧٨٥.

(٦) الرسالة ص١٤٨، وديوانه ٣/ ٨٣١.

(٧) الرسالة ص١٤٨ وما بين معكوفين منها، وديوانه ٣/ ٨٤٣.

اِنْعَمْ ولَذَّ فللأمورِ أواخرٌ أبداً إذا كانت لهنَّ أوائلُ[١]

وقال: عدم الغِنى من النَّفس أشدُّ من عدم الغِنى من الملك[٢].

قال المتنبي [من الطويل]

غَثاثةُ عَيشي أن تَغَثَّ كرامتي وليس بغَثٍّ أن تَغَثَّ المآكِلُ[٣]

وقال: مَن لم يقدر على فِعْل الفضائل، فلتكن فضيلتُه تَركُ الرَّذائل.

قال المتنبي: [من البسيط]

إنَّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيح به من أكثر الناس إحسانٌ وإجمالُ[٤]

وقال: تخليد الذِّكر في الكتب عمرٌ لا يبيد، وهو في كل يوم ذكر[٥] جديد.

قال المتنبي: [من البسيط]

ذِكرُ الفتى عُمْرُه الثاني وعيشَتُه ما قاتَه وفُضولُ العيشِ أشغالُ[٦]

وقال: إذا كانت الشَّهوةُ فوق القُدرة، كان هلاكُ النفس دون بلوغ الشهوة.

قال المتنبي: [من الخفيف]

وإذا كانت النفوسُ كباراً تَعبتْ في مُرادها الأجسامُ[٧]

وقال: مَن لم يُرِدْك لنفسه فهو النائي عنك [وإن كنتَ قريباً منه، ومن يُرِدْك لنفسه فأنت قريبٌ منه وإن تباعَدْتَ عنه]. قال المتنبي: [من البسيط]

إذا تَرحَّلْتَ عن قومٍ وقد قَدَروا ألّا تُفارقَهم فالراحلون هُمُ[٨]

وقال: بالصبر على مَضَض السياسة تنال شرف الرئاسة. قال المتنبي: [من الكامل]

---

(١) الرسالة ص١٥٥، وديوانه ٤/ ١٩٥.

(٢) في الرسالة ص١٥٠: عدم غنى النفس أشد من عدم غنى اليد.

(٣) الرسالة ص١٥٠، وديوانه ٤/ ٨٢.

(٤) الرسالة ص١٥٣، وديوانه ٤/ ٢٥٢.

(٥) في (خ): كنز، ولم ترد هذه الكلمة في الرسالة.

(٦) الرسالة ص١٥٣، وديوانه ٤/ ٢٥٢. وفيهما: وحاجته، بدل: وعيشته.

(٧) الرسالة ص١٤٥، وديوانه ٤/ ٣٤٧.

(٨) الرسالة ص١٤٧ وما بين معكوفين منها، وديوانه ٤/ ٣٨٥.

لا يَسلَمُ الشَّرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدَّمُ[١]

وقال: الظلم في طباع النفوس مُركَّب، وإنما يَصدُّها عن ذلك عِلَّةُ ديانة، أو عِلَّةُ سياسة[٢]. قال المتنبي: [من الكامل]

والظُّلمُ من شِيَمِ النفوسِ فإن تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فلعِلَّةٍ لا يَظلمُ[٣]

وقال: إذا لم تتصرَّف النفوسُ في مُراداتها، فحياتُها موت، ووجودُها عدم.

قال المتنبي: [من الخفيف]

ذَلَّ مَن يَغْبِطُ الذَّليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ[٤]

وقال: الفرقُ بين الحِلم والعجز أن الحِلم لا يكون إلا عن مَقدِرة، والعجزَ لا يكون إلا عن ضعفٍ، فليس للعاجز أن يَتسَمَّى بالحليم. قال المتنبي: [من الخفيف]

كلُّ حِلمٍ أتى بغير اقتدارٍ حُجَّةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ[٥]

وقال: النفسُ المَهينة الذليلة لا تَجِدُ ألمَ الهوان، والنفسُ الشريفة العزيزة يؤثّر فيها يسير الكلام. قال المتنبي: [من الخفيف]

مَن يَهُنْ يَسهُلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ[٦]

وقال: بإنفاذِ سَهْم الحزم، تُدرك صِحَّة الحزم[٧]. قال المتنبي: [من الطويل]

مع الحَزْمِ حتى لو تَعمَّد تَرْكَه لأَلحقَه تَضييعُه الحزْمَ بالحزْمِ[٨]

وقال: مَن نظر بعين العقل، ورأى عواقبَ الأيام، لم يَجزع لحلول النَّوائب[٩].

---

(١) الرسالة ص١٥٤، وديوانه ٤/ ٥٧٠.

(٢) في الرسالة ص١٥٤: الظلم من طبع النفس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علّتين؛ إما علة دينية لخوف معاد، أو علة سياسية لخوف السيف.

(٣) ديوانه ٤/ ٥٧٠، والرسالة ص١٥٤.

(٤) الرسالة ص١٥٥، وديوانه ٤/ ٥٣٢.

(٥) الرسالة ص١٥٥، وديوانه ٤/ ٥٣٢.

(٦) الرسالة ص١٥٥ـ١٥٦، وديوانه ٤/ ٥٣٢.

(٧) في النسخ: العزم في الموضعين، والمثبت من الرسالة الحاتمية.

(٨) الرسالة ص١٥٧، وديوانه ٤/ ٤٧٧.

(٩) في الرسالة: من نظر بعين عقله، ورأى عواقب الأمور قبل مواردها لم يجزع لحلولها.

قال المتنبي: [من الطويل]

عَرفْتُ الليالي قبلَ ما صَنعتْ بنا فلما دَهَتْنا لم تَزِدْني بها عِلما[١]

وقال: حُلول الفناء في عظيم الأمور، كحلوله في صغيرها.

قال المتنبي: [من الوافر]

فطعمُ الموتِ في أمرٍ صغيرٍ كطَعْمِ الموت في أمرٍ عظيمِ[٢]

وقال: مَن أَثرى من العَدم، افتقر من الكَرم. قال المتنبي: [من البسيط]

ورَبَّ مالٍ فقيراً[٣] من مُروءتِه لم يُثْرِ منه كما أَثْرى من العَدَمِ

وقال: كُرور الأيام أحلام، وغذاؤها أسقامٌ وآلام. قال المتنبي: [من البسيط]

هَوِّن على بَصَرٍ ما شَقَّ مَنْظَرُه فإنَّما يَقظاتُ العينِ كالحُلُمِ[٤]

وقال: ثلاثة إن لم تَظلمْهم ظلموك: ولدُك وعبدُك وزوجتُك، لأن صلاح أحوالهم في التعدّي عليهم. قال المتنبي: [من الطويل]

من الحِلم أن تَستعملَ الجهلَ دونَه إذا اتَّسعتْ في الحِلم طُرْقُ المظالمِ[٥]

وقال: أيامُ الحياة لا خَوفَ فيها، كما أن أيام المصائب لا بقاءَ لها.

قال المتنبي: [من البسيط]

لا تَلْقَ دَهرك إلا غيرَ مُكترِثٍ ما دام يَصحَبُ فيه رُوحَك البَدَنُ[٦]

وقال: الأيام لا تُديم الفرح، كما أنها لا تُديم التَّرح، فالأسف على الماضي تَضييع للعمر[٧] من غير فائدةٍ. قال المتنبي: [من البسيط]

فما يُديمُ[٨] سُروراً ما سُرِرْتَ به ولا يَرُدُّ عليك الفائِتَ الحَزَنُ

---

(١) الرسالة ص١٥٧، وديوانه ٤/ ٥٤٥.

(٢) في النسخ: فعظم الموت ... كعظم، والمثبت من الرسالة ص١٥٠، والديوان ٤/ ٥٦٤.

(٣) في النسخ والرسالة الحاتمية ص١٥١: فقير، والمثبت من الديوان ٤/ ٤٥٦.

(٤) الرسالة ص١٥٣، وديوانه ٤/ ٦٤٦.

(٥) الرسالة ص١٥٤ـ١٥٥، وديوانه ٤/ ٥٥٥.

(٦) الرسالة ص١٥٢، وديوانه ٤/ ٧٠٥.

(٧) في النسخ: العقل، والمثبت من الرسالة.

(٨) في النسخ: يدوم، والمثبت من الرسالة الحاتمية ص١٥٢، والديوان ٤/ ٧٠٥ بشرح ابن جني.

وقال: العشقُ أمر ضروري داخلٌ على النفس، والعاشق جاهلٌ بتلك الضّرورة الداخلة عليه[١]. قال المتنبي: [من البسيط]

مـمـا أَضـرَّ بـأهـل الـعِـشـقِ أنَّـهـمُ هَووا وما عَرفوا الدُّنيا ولا فَطَنوا[٢]

وقال: على قَدْر الهِمَم تكون الهُموم. قال المتنبي: [من البسيط]

أَفـاضِـلُ الـنـاسِ أغـراضٌ لـذا الـزَّمَـنِ يَخلو من الهمِّ أَخلاهم من الفِطَنِ[٣]

وقال: ليس جمال الإنسان بنافعٍ له إذا كان ميِّتَ القلب من العلم.

قال المتنبي: [من البسيط]

لا يُـعـجِـبـنَّ مَـضِـيـمـاً حُـسْـنُ بِـزَّتـه وهـل يَـروقُ دَفـيـنـاً جَـودَةُ الـكَـفَـنِ[٤]

وقال: ليس من الحزم فناء النفوس في طلب الشهوات، بل في دَرْك العالم العلوي. قال المتنبي: [من الخفيف]

ومُـرادُ الـنُّـفـوسِ أصـغـرُ مـن أن تَـتَـعـادى فـيـهِ وأن تَـتَـفـانـى[٥]

وقال: خوفُ وقوعِ المكروه قبل تناهي المدّة، خَوَرٌ في الطبع.

قال المتنبي: [من الخفيف]

وإذا لـم يـكـن مـن الـمـوتِ بُـدٌّ فـمـن الـعَـجْـزِ أن تـمـوتَ جَـبـانـا[٦]

وقال: الكَلال والمَلال يتعاقبان الأجسامَ لضعف آلة الجسم، لا لضعف [آلة] الحسّ. قال المتنبي: [من الخفيف]

وإذا الـشَّـيـخُ قـال أُفٍّ فـمـا مَـلَّ حـيـاةً ولـكـنِ الـضَّـعـفَ مَـلّا[٧]

وقال: الدنيا أبداً تلد، وتأكلُ أولادها[٨]. قال المتنبي: [من الخفيف]

---

(١) في الرسالة: العشق ضرورة داخلة على النفس، والإنسان جاهل بتلك الضرورة.

(٢) الرسالة ص١٥٢، وديوانه ٤/ ٧٠٥.

(٣) الرسالة ص١٥٦، وديوانه ٤/ ٦٧٤.

(٤) الرسالة ص١٥٦، وديوانه ٤/ ٦٨٠.

(٥) الرسالة ص١٥٢، وديوانه ٤/ ٧١٤.

(٦) الرسالة ص١٥٣، وديوانه ٤/ ٧١٥.

(٧) الرسالة ص١٤٩ وما بين معكوفين منها، وديوانه ٤/ ١٤.

(٨) في الرسالة الحاتمية ص١٤٩: الدنيا تطعم أولادها وتأكل مولودها.

أبداً تَسترِدُّ ما تَهَبُ الدُّنـ يا فيا ليت جُودَها كان بُخلا[١]

وقال: الجُبْنُ ذِلَّةٌ كامنة في نفس الجبان، فإذا خلا أظهر شجاعته.

قال المتنبي: [من الخفيف]

وإذا ما خَلا الجبانُ بأرضٍ طَلَبَ الطَّعنَ وحدَه والنِّزالا[٢]

وقال: على قدر بصيرة العقل [يرى الإنسان الأشياء، فالسالم العقل] يَرى الأشياء على حقائقها، والنفسُ اللئيمة ترى الأشياء بطبعها. قال المتنبي: [من الوافر]

ومَن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ[٣] يَجِدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالا

وقال: الغَلَبةُ بطبع الحياة، والمسألةُ بطبع الموت، والنفسُ لا تُحب الموتَ، فلذلك لا تُحَبُّ الأشياءُ إلا بالغَلَبة لا بالمسألة. قال المتنبي: [من الخفيف]

مَن أطاقَ التماسَ شيءٍ غِلاباً واغتصاباً لم يَلْتَمِسْه سُؤالا[٤]

وقال أبو يعلى محمد بن محمد بن الهبَّارية العباسي في «فلك المعالي»: ذُكر لعبدالله بن المعتز قول أرسطاطاليس: إن الضَّبُع تضَعُ سنة أُنثى وسنة ذكراً، وتَلقَح عاماً ولا تلقح عاماً[٥]؛ فقال: انظُروا إلى هذا الجاهل الذي يَدفع معجزات الأنبياء، ويقول: لا أقبل إلا ما يقوم برهانُه بالعقل، ويقول مثل هذا.

وقيل لابن المعتزِّ: إنه يقول: إن الجراد لا يُفسِد في الأرض إلا بوحيٍ من السماء. فقال: هذا يَمنع جواز الوحي إلى بني آدم، ويُجيزه إلى الجراد.

فصل في «الغالب والمغلوب»

ألَّفه أرسطاطاليس للإسكندر، يُعرِّفُ به الغالبَ والمغلوب في وقت الحرب، وغلبة الشريك لشريكه، والزوجِ لزوجته، والخَصْمِ لخصمه، ومَن هو المستظهر منهم.

---

(١) ديوانه ٤/ ١٥.

(٢) الرسالة ص١٤٩، وديوانه ٤/ ٣١.

(٣) في النسخ: مرير، والمثبت من الرسالة ص١٥٥ وما بين معكوفين منها، وديوانه ٤/ ١٦١.

(٤) الرسالة ص١٥٨، وديوانه ٤/ ٣٦.

(٥) ذكر نحوه الجاحظ في الحيوان ٧/ ١٦٨.

قال: احسب اسم كلٍّ واحد من الاثنين على حِدَة بحساب الجُمَّل، وأسقِط مما جمعتَه من الحساب تسعةً تسعةً حتى يبقى تسعة أو أقل، فإن بقي من الاسم تسعةٌ ومن الآخر تسعةٌ، فاحكم بالغلبة للصغير منهما على الكبير إن كانا من جنسٍ واحدٍ، وإن كان أحدهما صاحب قلم، والآخر صاحب سيف، فاحكم لصاحب السَّيف على صاحب القلم، ولا تسقط الألف من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وسليمان ونحوه لأنها أصلية، وأسقطه من الحسن والحسين لأن لامهما وألفهما زائدتان، وإن كان للرجل اسمان فاحسب أشهرهما.

وقد اعتبروا الغالب والمغلوب من قديم الزمان، فوجدوه مستقيماً على هذا الحساب، فإن وقع اختلال كان منسوباً إلى الغلط في الهجاء.

قالوا: ومن ذلك داود عليه السلام وجالوت، فالباقي من اسم داود ستةٌ، لأن الدال أربعة، والألف واحد، والواو ستة، والدال أربعة، والجملة خمسة عشر، لأنهم أسقطوا الواو الواحدة لأنها زائدة، وأسقطوا تسعة وبقي ستة، والباقي من اسم جالوت ثمانية، لأن الجيم ثلاثة، والألف واحد، واللام ثلاثون، والواو ستة، والتاء أربع مئة، فإذا حسبت تسعة تسعة سقط الجميع إلا ثمانية، فقد غلب القليل الكثير، ولا تسقط الألف من داود وجالوت.

ومن ذلك موسى عليه السلام وفرعون، فالميم أربعون، والواو ستة، والسين ساقط، والألف واحد، لأنهم يكتبونه على اللفظ موسا بغير ياء، فإذا أسقطت تسعة تسعة بقي اثنان، وقيل: واحد، وهو الأصح، لأنه لما كان موسى يكتب بالياءِ والألف، أسقطوا الألف، وفرعون أربع مئة وستة، لأن الفاء ثمانون، والراء مئتان، والعين سبعون، والواو ستة، والنون خمسون، إذا أسقطت تسعةً تسعةً بقي واحد في قبالة ما بقي لموسى عليه السلام، لكن موسى عليه السلام أصغر من فرعون، لأنه عاش مئةً وعشرين، وفرعون أربع مئة سنة.

وقيل: هذا الحسابُ[1] إنما وضعه فيثاغورس صاحب العلوم الأربعة التي كشف بها أسرار الطبيعة وتركيبها.

---

(١) ينظر في هذا الحساب تاريخ ابن خلدون ١/ ١١٤، والإشارات في علم العبارات ١/ ٢٧٥.